

الإسم: حسين

اللقب: بن تركي

الجامعة: عبد الرحمان ميرة – بجاية-

الدرجة العلمية: سنة ثانية دكتوراة

المحور الثاني: وسائط أدب الطفل العربي – القصة (الأعلام، الأشكال،
المضامين).

عنوان المداخلة: جمالية البناء الفني في الخطاب القصصي الموجه للطفل، قصة
بائعة الخبز لأحمد منور أنموذجا.

الإيميل: benterkikamel8@gmail.com

الملخص:

تعدّ القصة الطفلية واحدة من أبرز الوسائل التعلّيبية والتثقيفية التي تجمع بين المتعة والتعلّم، ذلك لما تحمله من أبعاد تربويّة توجيهيّة، فهي عمل إبداعي يسعى من خلاله الكاتب إلى بناء وهيكله شخصيّة الطّفّل من خلال التّأثير فيه وتوجيه سلوكه وفق ما يتلاءم مع القيم والمبادئ المجتمعية الأصيلة، ومن الكتاب الذين أبدعوا في هذا المجال، الكاتب المبدع "أحمد منور" من خلال قصّته بائعة الخبز، التي تعكس خصائص فنية وبنائية وقيما تربويّة من شأنها بناء شخصيّة الطّفّل واعداده.

سنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على بائعة الخبز لأحمد منور بغرض الوصول إلى جمالية بنائها الفني ومختلف الأبعاد التربوية والأخلاقية فيها.

الكلمات المفتاح:

القصة الطفلية، هيكلية، القيم، البناء الفني .

مقدمة:

تعدّ الطفولة مرحلة أساسية ومهمّة في حياة الإنسان ففيها تتحدّد معالم شخصيته وأنماط قيمه وسلوكه، وفيما يتعلّم مختلف عاداته واتجاهاته، كما أنّها مرحلة نمو مستمر قابلة للتشكّل وفق الصورة التي يقدّمها المجتمع، ومن هنا تحظى هذه المرحلة في مختلف المجتمعات بعناية تناسب قيمتها، ومنه ركّزت الدّول جهودها واهتماماتها على الأطفال صحياً وبدنياً، كما اهتمت بعقولهم ووجدانهم من خلال كل السبيل المتاحة شفاهة أو كتابة، ويعتبر أدب الطّفل مصدراً رئيسياً لتنشئة الطّفل وتنمية قدراته ومواهبه، فه و غذاؤه العلمي والثقافي لما يحويه من قصص وأشعار وحكايات

ومسرحيات، ومن الكتاب الذين أبدعوا هذا المجال الكاتب أحمد منور الذي أبدع في كتاباته للطفل لتعليمه وتنقيفه، ومن أعماله قصة بائعة الخبز التي عكس من خلالها قيما وأبعادا اجتماعية تربوية يسعى لترسيخها واستثمارها لبناء وهيكله شخصية الطفل.

واقع أدب الطفل في الجزائر:

عاشت الجزائر ظروف قاسية في ظل سياسة استعمارية ظالمة عملت على محو الكيان والغاء الوجود الجزائري، وعلى الرّغم بالذي مرّت به الجزائر إلا أنّها اهتمت بالطفل وبكل ما من شأنه أن يسهم في تنمية قدرته وبناء شخصيته، ليلحظ المتبصّر لتلك الاسهامات التي جاء بها الأدياء من شعر وقصص ومسرح وغيرها من الفنون، وادب الطفل متأصل في المجتمع الجزائري، والدليل على ذلك أغاني الترقّيص التي كانت ولا زالت تغنيها الأمهات والجّدات لأطفالهنّ، إضافة إلى ذلك عرفت البيوت الجزائرية المسامرات الليلية من خلال ما كانت تسرده الجدّات على مسامع الأطفال من حكايات شعبية مليئة بالمغامرات والتي كانت تهدف إلى غرس القيم الإنسانية والدينية والتربوية في الطفل وتبعا لذلك ظهرت أشكال متنوعة من الفنون الأدبية الموجهة للطفل واختلفت بين مسرح ونصّ شعريّ وقصة.

كان الشّعْر الموجّه للطفّل في الجزائر فترة ما قبل الاستقلال الأسبق في الظهور من الفنون الأخرى، ذلك على اعتبار أنّ معظم الأدياء الذين أبدعوا في تلك الفترة كانوا شعراء ودعاة اصلاح ديني واجتماعي، في ظلّ هذه البيئة الإصلاحية ظهر شعر الطّفولة، ومن "الأوائل الذين كتبوا في هذا المجال محمد العابد الجيلالي الذي اهتم بالطفّل وبالكتابة له، حيث لقّبه الإمام عبد الحميد بن

باديس بالمعلم المثالي¹. وقد صدرت له أول مجموعة شعرية بعنوان الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية، ومن شعره الموجّه للطفّل أناشيد محمد الع بي آل خليفة التي نذكر منها أنشودة الوليد، ونشيد مدرسي الأطفال مدرسة العرفان بمدينة عين مليلة 1950² وكان ظهور هذه الأناشيد الموجّهة للطفّل انطلاقا من استجابة الشعراء لطلب المنظمات الكشافية التي كانت تدعو إلى كتابة أناشيد وطنية وقصائد ثورية.

عرف الشعر الموجّه للطفّل بعد الاستقلال ركودا، إذ أنّ الشعراء في تلك الفترة توجّهوا إلى الكبار دون الصغار، ومع بداية السبعينات بدأ الاهتمام بأدب الأطفال عموما بالشعر خصوصا ففي هذه الفترة بدأت " مجلة همزة الوصل تخصص جزءا لأدب الطفل وفي هذا الجزء نشرت مجموعة من القصائد موجّهة للأطفال نذكر منها قصيدة العلم الجزائري لعبد القادر بن محمد، نشيد الصباح لعلي عبد الواحد وقصيدة آداب المرور لأحمد الصعيدي³ بالإضافة إلى قصائد شعرية عديدة نشرتها هذه المجلة كقصيدة الجندي المعطوب لسعيد الطاهر وغيرهم، ومع بداية الثمانينات ازداد الاهتمام بأدب الطفل بشكل جدّي، فبدأ الشعراء ينشرون دواوينهم ومجموعاتهم الشعرية ، واحتواء المؤسسة الوطنية للكتاب لهذه الأعمال قد شجّعهم أكثر على الاستمرار في الكتابة لهذه الفئة، وتبعها لهذا صدر سنة 1983 ديوان الأطفال وأناشيد النّصر لمحمد الأخضر السّاحي وديوان أناشيد والفرحة الخضراء لمصطفى الغماري، وغيرهم ممن تفننوا في الكتابة لهذه الفئة ومع بداية التسعينات نشطت دور

¹ العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، مومخ للنشر، الجزائر، د. ط، 2008، ص 142.

² ينظر، م. ن، ص 143.

³ العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص 147.

الرّشورالتي انصبّ اهتمامها على الثّرو والاهتمام بالقصص أكثر من الشّع، فلم يظهر منه في المكتبات إلا مجموعات قليلة.

ومن الفنون الأدبية التي وجّهت اهتمامها للطفّل جدير أن نذكر المسرح واسهاماته في النهوض بهذه الفئة، وإذا بحثنا بعمق في تاريخ المسرح الموجّه للطفّل الجزائري قبل الاستقلال وجدنا أنّ الانطلاقة قد تبنّتها فرق الكشّافة الإسلاميّة ومدارس جمعية العلماء المسلمين، فقد بذلت هذه المدارس والجمعيات جهودا من أجل إيصال هذا اللّون الأدبي إلى الطّفّل الجزائري، خاصّة وأنّ جهودها كانت تلاقي مضايقات من المستعمر الفرنسي، "ومن الأدباء الذين كتبوا في تلك الفئة نذكر أحمد رضا حوحو، الطاهر فضلاء، عبد الرحمن الجبالي، أحمد توفيق، كما ظهرت فيما بعد فرق مسرحية كثيرة مثل فرقة هواة التّمثيل العربي، فرقة المزهرة القسنطيني، فرقة المركز الجهوي الدرامي وغيرها"⁴ والمسرحيات التي قدّمت في تلك الفترة لم يكن الهدف منها خلق أجواء من الفرحة والترفيه بقدر ما كان الهدف منها التّوعية والتّحذير من الاخطار الاجتماعية التي زرعها المستعمر، والتّحسيس بالقضيّة الوطنيّة، وباندلاع الثّورة التحريرية كان المسرح هو الآخر على موعد مع قيام ثورة عارمة، فرغم ما عاناه من ضغوط المستعمر خلال هذه الفترة "إلا أنّ نشاطه استمر، وذلك من خلال لجوئه إلى الخارج لإتمام رسالته النّظاليّة حيث تواصل في تونس إبان الثّورة"⁵، ولم يكن مسرح الطفل مقتصرًا على المدارس والجمعيات الدينيّة فقط، بل تعدّى نشاطه إلى المدارس الوطنيّة أيضا

⁴ صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دراسة موضوعاتية وفنية، دار الهدى، الجزائر، د. ط، 2005، ص 08.

⁵ أحلام أميرة بوحجر، واقع الكتابات النقدية لمسرح الطفل في الجزائر، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، الجزائر، 2006، ص 32.

كمدارس حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ومنه فالمسرح بقدر ما كان وسيلة تربوية كان وسيلة سياسية أيضا.

إنَّ أهمَّما يميِّز مسرح الطِّفل في هذه الفترة هو معالجته لمواضيع دينية تاريخية ووطنية تتلاءم وطبيعة المرحلة والظُّروف التي عرضت فيها المسرحيات ،من المسرحيات نذكر " مسرحية نحو النور، أبناء القصبه ودم الأحرار التي كانت نمن إنتاج وتأليف مصطفى كاتب ⁶ جدير بالذِّكر أنَّ هذه المسرحيات كانت وسيلة للتَّوعية والتَّ عبير عن الحال وبالتالي اشترك في تلقيها الكبار والصغار .

لقيت الكتابة المسرحية في السبعينيات انتشارا واسعا، ففي " سنة 1975 بدأ المسرح الإقليمي لمدينة وهران بتخصيص قسم لمسرح الأطفال ومنذ هذه السنَّة والمسرح يقدِّم عروضه للأطفال، وفي الثمانينات ظهر المهرجان الوطني لمسرح الأطفال بمدينة قسنطينة عام 1982، كما أحدثت وزارة التَّربية مهرجانا سنويا للمسرح المدرسي بمستغانم خصَّصت له إمكانات مادية وقوة بشرية ⁷ إضافة إلى ذلك فقد طرحت مناقشات حول مسرح الطِّفل وحول كلِّ ما من شأنه تطويره وتطوير كل ما يقدم لهذه الفئة في المجتمع.

القصص الموجهة للطفل:

⁶ ينظر عبد الحليم رايس، مسرحيتنا أبناء القصبه، دم الأحرار، منشورات المعهد الوطني للفنون المسرحية، الجزائر، د. ط، 2000، ص 90.

⁷ ينظر، محمد حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، مصر، ط 1، 2004، ص 240.

كان لظهور الحركة الإصلاحية وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الفضل الكبير على الأدب عموما والقصة خصوصا، حتى أنّ التعليم الوطني الجزائري كان قد تمخّض في أحضان جمعية العلماء المسلمين، والقصة الموجهة للأطفال لم تظهر في فترة ما قبل الاستقلال كجنس أدبي خاص بالأطفال دون غيرهم وتأخر ظهورها كان راجعا " لاشتغال الأدباء بالقصة المكتوبة للكبار، إضافة إلى اشتغالهم بقضايا مجتمعية أخرى ⁸ فالقصة لم تشهد تطورها ونضجها إلا في المجتمعات التي شهدت ازدهار فن القصة بشكل عام.

ومن الأدباء الذين كتبوا في هذه الفترة أحمد رضا حوجو، أحمد عاشور، أبو القاسم سعد الله والسعدي حكار لكن انتاجات هؤلاء لم تكن خاصة بالأطفال بل كانت تصلح لهم، وما يمكن قوله هو أنّ القصة المكتوبة الموجهة للطفل في الجزائر لم تظهر كجنس أدبي قائم بذاته قبل الاستقلال لأنّ الاهتمام كان منصبا على فنون أخرى كالشعر، فالفترة التي عاشها المجتمع الجزائري آنذاك كانت تستدعي السرعة في رد الفعل وعدم التأنّي في التعبير عن الموقف وهي ظروف ساعدت على انتشار الشعر أكثر منه القصة.

شهدت الجزائر تغييرات كبيرة بعد الاستقلال، فتغيّرت الظروف وانتشر التعليم في البلاد وانتشرت معه حركة ثقافية حاولت تعويض ما فات، فمرحلة ما بعد الاستقلال شهدت تحولات وتغييرات في الحياة العامة، تبعا لذلك بدأ الاهتمام بأدب الطفل وتكوينه وتنشئته خصوصا أنّ استقلال الجزائر قد ساعد على انتشار التعليم المجاني، " ومن الأدباء الذين أبدعوا في هذا المجال نذكر

⁸ ينظر محمد الطاهر بوشمال، أدب الأطفال في الجزائر، مصطفى الغماري نموذجا بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية وأدائها الجزائر باتنة، 2009، 2010 ص 17.

الطاهر وطّار، جيلالي خلاص، عبد الحميد بن هدوقة، محمد دحو، مصطفى محمد الغماري، أما الشيخ الأحمدى نويرات فقد كان أكثر الكتّاب ثراء إبداعيا، إذ استمدّ معظم مضامين قصصه من التّراث الجزائري⁹ وقد مرّت القصّة المكتوبة للأطفال في الجزائر بعد الاستقلال بمرحلتين، المرحلة الأولى تتمثّل في " الاعتماد على الانتاج الأجنبي، وتبدأ هذه المرحلة من أوائل السّتينات حتى أواخر السّبعينات¹⁰، فالجزائر في هذه المرحلة كانت تعتمد على انتاجات الدّول العربية وحتى الفرنسية أمّا المرحلة الثانية فتتمثّل في " ظهور أولى القصص الجزائرية المكتوبة للأطفال وتبدأ هذه المرحلة من أوائل الثّمانينات إلى حد الآن¹¹".

جمالية البناء الفنّي في قصة بائعة الخبز لأحمد منور:

تصنّف قصة بائعة الخبز ضمن القصص الاجتماعية الموجهة للأطفال تحديدا إلى المرحلة الممتدّة من 12 إلى 18 سنة، اختار منور الكتابة لهذه الفئة لأنّ النّصوص المكتوبة لها قليلة جدا في الجزائر مقارنة مع القصص التي تكتب للأطفال الأصغر سنّا " فهي من أخطر مراحل العمر وأكثرها حساسية بالنسبة للمراهق ولمحيطه معا لأنها نقطة انتهاء ماضيه الطفولي وبداية تحوله إلى

⁹ الربيع بن سلامة، من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، دار المداد، الجزائر، 2009، ص 30.

¹⁰ ينظر، م ن، ص 59.

¹¹ م ن، ص 60.

عالم الراشدين¹² فهذه المرحلة تصبحها تغييرات كثيرة، فيقترب فيها النّمو الجسمي من النّضج والعقل وإلى الثّبات والتّوازن ، ويبرز كذلك الاعتماد على النّفس والاستقلال الذاتى بصورة جليّة.

جمالية التشكيل اللغوي في قصة بائعة الخبز:

بنيت هذه القصة على محدّدات سردية متنوّعة، شكّلت جوهرها وعكست هدفها المتمثّل في توجيه وهيكلة شخصية الطّفل، فشكّلت أساسا من اللّغة على اعتبارها " احدى الأركان الأساسية في العمل الأدبي عامة، والموجه منه إلى الطفل خاصة حيث أن لكل مرحلة من مراحل الطفولة قاموسها اللغوي الخاص الذي يشتمل على المفردات والتعابير التي يستخدمها أطفال هذه المرحلة أو تلك"¹³ ومنه فاللّغة هي وسيلة تعين الطّفل على تحقيق احتياجاته، وقد احترم الكاتب أحمد منور القاموس اللّغوي الموجّه لهذه الفئة موظّفا في نصّه القصصي لغة سهلة وبسيطة فاعتمد على ألفاظ موحية لمضمون النصّ دون تكلف أو تعقيد، وما يلفت الانتباه أنّ أحمد منور عندما يوظّف كلمات صعبة أو كلمات جديدة غير مألوفة عند هذه الفئة يبرزها باللّون الأحمر، حتّى تلفت انتباه القارئ ويقوم بشرحها أسفل الصّفحة، كي يتعلّم هذا المتلقّي أكبر قدر ممكن من الكلمات فيتحسّن أسلوبه ويجمع رصيда لغويا ثريا، ومن أمثلة ذلك في القصة نذكر:

" شظف: أي الخبز اليابس ومعناه ضيق العيش وشدته.

غوائل: جمع غائلة وهي المصيبة، فتوجس توقعت منه شرا"¹⁴.

¹²الربيع بن سلامة، من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ص 20.

¹³ محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ص 59.

¹⁴ أحمد منور، بائعة الخبز، دار الساحل، الجزائر، د ط، 2013، ص 59.

كما ظهرت هذه المفردات الصعبة في قول الكاتب أيضا " الأزرق: الظهور وشدة الأزرق، ربط الوسط لتحمل الثقل¹⁵ والمعنى هنا تقوية الأم لعزيمة بناتها في مواجهة الصعاب، وعلى الرغم من جودة اللغة التي صيغ بها الأسلوب القصصي في " بائعة الخبز" إلا أنّ بعض الصعوبة والارتقاع عن مستوى لغة الطفل كان ظاهرا في بعض الأحيان فالكاتب استعمل كلمات غريبة ولم يقم بشرحها مثل لبنات الخوولة، وكرر كروم، قرن بوضة كرمات، وغيرها من الكلمات غير المتداولة في المجتمع، وهذا ما يجعل متعة الطفل بأحداث القصة تخبو، أين ينشغل ذهنه في البحث عن حقيقة هذه المفردات، وبالتالي اثرء رصيده اللغوي.

استعان الكاتب أيضا في قصته هاته على الازدواجية اللغوية، فهو لم يعتمد على اللغة الفصحى كلغة مطلقة وإنما زواج بينها وبين الدارجة في حوارية تفاعلية تعكس حضور مرجعيات مختلفة داخل النص فاعتمد على اللهجة العامية ذلك من خلال توظيفه بعض الامثال ويظهر ذلك من خلال السياق التالي " طب الصغير لمام وطب المال مولاه¹⁶ يعدّ هذا المثل قيمة ثقافية خاصة في المجتمع الجزائري، وتوظيفه لم يكن اعتباطيا بقدر ما كان عن سبق إصرار وترصد، لقيّمته وأهميته فبفضله يطّلع الطفل على القيم الثقافية التي تتميز بها الجزائر.

أحدث الكاتب في قصته نوعا من التداخل الجنسي، فزواج بين ها وبين الأجناس الأدبية الأخرى، فوظف بعض الأبيات الشعرية للشاعر مفدي زكريا ويظهر هذا في قوله:

" أهلا وسهلا بنوي الأيادي أهل الأيادي والأريحية

¹⁵ م ن، ص 22.

¹⁶ أحمد منور، بائعة الخبز، ص 112.

شرفتمونا نحن بينكم نورتومونا في ذي العشية

دمتم بخير عشتم كراما نهديكم السلامة والتحية¹⁷

نوع الكاتب من خلال قصته الموجهة للطفل في الاستعمال اللغوي، فوظف أبياتا شعرية، أناشيد، أمثال شعبية وحكما، وكل هذا يعدّ من المؤثرات التي يقصد من خلالها جذب المتلقي للتفاعل مع القصة وبهذا يكون منور قد حقق هدفين، متعة تعلم اللغة واثراء الرصيد، ومتعة القراءة.

جمالية الصورة في القصة:

تلعب الصورة القصصية دورا مهما في عملية التثقيف، فهي تساعد الطفل على فهم الكلمات واستنباط معانيها " إذ أنها تكمل المعنى إن لم تكن في الأساس هي من تنتجه، وتتجلى هنا ما للصورة من أهمية بالنسبة للطفل إذ أنها قد تعادل ألف كلمة¹⁸ فتلك الصور والرسومات تساعد الطفل على تفسير الأحداث من خلال الملاحظة والمقارنة، وإخراج القصة الطفلية بصورة فنية يعني العناية بهيئتها الشكلية، من حيث الحجم، اللون، الرسم، الصورة ذلك حتى يتم تداولها.

جاءت قصة بائعة الخبز في حجم متوسط، ورقها من النوع الجيد المتوسط السمك، غلافها مزين برسومات جميلة ومعبرة عن المضمون بألوان هادئة ومتناسقة ومناسبة للمرحلة الموجهة لها، وبالنسبة للصور الموجودة في المضمون فهي صور متناسقة الألوان، مستمدة من واقع الطفل ومجتمعهم وبيئته ومحيطه، وهي مناسبة لحاجات الطفل ومستواه الإدراكي، فهي تعمل على إنماء

¹⁷ م ن، ص 58.

¹⁸ حفيفة بوخاري، علاقة المشهد اللوني في القصص المصورة بتنمية القيم الجمالية لدى الأطفال، الجزائر، ملتقى أدب الطفل، قسم اللغة العربية وآدابها، بوداوا، بومرداس، 2014، ص 11.

مخيلته الأدبية، خاصة تلك الصّور الخاصة بالزّيف والمناظر الخلّابة، وقد أحدث الكاتب نوعاً من التّلاعب في استحضاره للصّور ذلك حتّى يبقى المتلقي على صلة بما يكتبه ويتدارك ذلك التلاعب فأحياناً نجد الصّور تشويقاً ما يوجد في المتن وأحياناً أخرى يحدث العكس، كما نجد في بعض الأحيان الصورة مكرّرة في بعض الصّفحات، فعائشة تضع خماراً وتظهر به في كلّ صفحات القصة لكنها في صفحة 57 و 93 وصورة الغلاف تظهر دونها، ذلك الحضور لشخصية عائشة كان يعكس مركزيتها ومحوريتها في القصة باعتبارها شخصية رئيسية، كما جاء لون الخمار في الصفحة 89 و 85 بلونين مختلفين تارة بالأحمر وتارة بالرمادي، ذلك حتّى يلفت الانتباه ويبقى الطفل في حالة من الانسجام والتّواصل مع القصة.

يواصل الكاتب في عرض الصّور ويظهر ذلك من خلال قوله " يقف أحد أعوان البلدية عند الباب بقبعته السوداء"¹⁹ لكنّه في الصّورة المقابلة للمتن لا وجود للقبعة، ضف إلى ذلك أعوان البلدية لا يرتدون الزي الموجودة في الصورة، ومنه تصبح هذه الرسومات بمثابة لعبة الذكاء التي تحفّر الطفل وتجعله يجتهد للوصول إلى حقيقة هذا التّوظيف، كما تقدّم لنا الصّورة في الصفحة 164 يوسف خلف خديجة، لكن المضمون عكس ذلك، فخديجة من تركب خلفه، كذلك في الصفحة 85 نجد عيون عائشة باللون الأسود وفي باقي الصّفحات باللون الأزرق، يواصل الكاتب في عرض هذه الاختلافات التي صاحبت ظهور الشخصيات ففي الصفحة 113 تظهر مريم بقميص بنفسجي وفي الصفحة 135 بقميص لونه وردي، بالرغم من أنّها كانت في المكان نفسه، ومنه أضحت هذه

¹⁹أحمد منور، بائعة الخبز، ص 47.

الرّسومات الموظّفة بمثابة الرّابط الذي يربط بين النّص وبين المتلقي الذي يجتهد في فكّها وتأويلها واستنباط دلالات توظيفها.

الشّخصيات في قصّة بائعة الخبز واسهاماتها في ترسيخ القيم عند الطفل:

تعدّ الشّخصيات حسب الدّارسين عنصرا من عناصر البناء الفني للقصّة، فهي تعمل مجتمعة على إبراز الفكرة التي من أجلها وضعت القصّة وبالتالي لا بد للمبدع من رسم شخصيات قصته بعناية، مراعيًا التكوين الجسمي والنّفسي لها حتّى يراها الطّفل مجسّمة أمامه ويستطيع التّأثر بها، ولتحقيق ذلك اختار أحمد منور شخصيات عمله من الواقع الاجتماعي " فهذا المتلقي الصغير يسعى من خلال ما يقرأه من نصوص قصصية إلى الالتحام بواقعه والالتفات حوله، ولن يتحقق هذا إلا بارتباط المتلقي وجدانيا بشخصيات تلك النصوص ²⁰ خاصّة إذا رأى هذا المتلقّي، الشّخصية حقيقةً أمامه وسمعها تتكلّم بصدق.

ظهرت الشّخصيات في قصّة "بائعة الخبز" وفق مستوى يتناسب وواقع الطّفل، فهي لا تظهر مثالية لا رقص فيها وإنّما على طبيعتها لأنّها مشتقات من الواقع الذي يحيا فيه الطّفل، وقد وظّفت الشّخصيات في هذه القصّة بغرض غرس القيم وهيكله شخصية الطّفل وكيانه وفق ما يتلاءم مع تعاليم المجتمع الإسلامي، فكانت معظمها إيجابية، أسمائها كلها مستوحاة من الدّين الإسلامي، عائشة، خديجة، مريم، يوسف، حفصة، رقية، وغيرها.

²⁰ فتيحة شفيري، دور القصّة في بناء شخصية الطّفل، مجلة المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية، جامعة كيرالا، الهند، 2010، ص57.

جاءت الشخصية البطلة تحت اسم عائشة، وهي فتاة في ريعان شبابها عانت ظروفًا قاهرة أجبرتها على ترك دراستها، فقدت والدها في مرحلة جد حرجة وهي فترة العشرية السوداء، لتفقد والدتها بعد مدة، وتجد نفسها في وضع جديد، وضع فرض عليها تحمّل مسؤولية إخوتها الأصغر منها، كانت عائشة بنك شجاعة تبدي تماسكها أمام إخوتها وتهوّن عليهم، ويظهر هذا في حوارها مع مريم عندما رسبت في شهادة البكالوريا "لست أول واحدة تسقط في البكالوريا ولن تكوني الأخيرة، ثم إنك ما قصرت في الدراسة، ولكن الظروف كانت قاسية علينا وهي التي أثرت عليك"²¹ كما ظهر ذلك أيضًا في تشجيعها لخديجة عندما بكت على المنصة في حفلة نهاية السنة "ومن ثمة عرفت كيف تبدد هواجسها وكيف تقنعها أنها كانت نجمة الحفل التي استقطبت اهتمام الجميع ونالت اعجابهم"²²، إنّ شعور عائشة بالمسؤولية هو الذي كان يدفعها لأن تكون صارمة فكانت تخاف على إخوتها مثلما تخاف الأم على أولادها.

ظهرت هذه الشخصية في صورة الفتاة المتديّنة والخلوقة التي تعبد الله وتسير وفق تعاليم الدين الإسلامي ويتجلّى هذا من خلال ارتدائها للحجاب، وفي حث مريم على الإيمان بقضاء الله وقدره "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، هل نسيت الإيمان بالقضاء والقدر"²³ وقد كان توظيف منور لهذه الشخصية قصديّة سعى لتحقيقها وهي التأثير في المتلقي الطفل، من خلال استنباط القيم العليا والأخلاق النبيلة التي كانت تميّزها، وبالتالي ارتباطه بدينه والسعي لتطبيق أحكامه ومفاهيمه السمحاء، خاصة في زمن كثر فيه الفساد والمغريات وطغت المادة على الروح، فهذه النصوص

²¹ أحمد منور، بائعة الخبز، ص 32.

²² أحمد منور، بائعة الخبز، ص 64.

²³ م ن، ص 32.

الشعبة بالقيم تعمل على توجيه الأطفال خاصة المراهقين إلى الطريق الصحيح وتقوية النزعة الدينية لديهم.

إضافة إلى شخصية عائشة، ظهرت شخصية أخرى وهي خديجة ابنة الحادية عشر من عمرها، التي عاشت هي الأخرى ظروفًا قاسية أجبرتها على العمل في سن صغيرة، عانت خديجة إذا ظروفًا قاسية لكنّها رغم ذلك كانت متفوّقة في دراستها وعملها، وهذا السنّ لم يمنعها من التفوق، وقد أراد الكاتب من خلال هذه الشخصية أن يبيّن للمراهق أنّ الفقر ليس سببًا للفشل ولا مبررًا له، فالطفل القوي يستطيع ان يتحدّى مصاعب الحياة ليحقق النجاح المتواصل.

وقد عرض الكاتب أيضا شخصيات أخرى يمكن اعتبار وجودها ثانويًا، إلا أنّ حضورها يشكّل فارقًا وكل شخصية منها تهدف إلى جعل الطفل سويًا في تفكيره، مدركًا في طريقة بناء شخصيته ومعالمه، ومن هذه الشخصيات، الخالة حفصة زوجة الخال عبد القادر هي شخصية طيّبة وخلوقة وهي نموذج للمرأة الأصيلة المتمسكة بالعادات والتقاليد والأعراف والممارسات الشعبية، فقد كانت تصنع مختلف المأكولات التقليدية، وتعلّم البنات طريقة حلب الأبقار وصنع الأواني الفخارية وقطف الخضر والفواكه من البساتين، ومن خلال هذه الشخصية يتعلم الطفل التثبث بالهوية الجزائرية والارتباط بها والدفاع عنها دفاعًا مستميتًا، إنّها دعوة للأجيال الصاعدة بعدم التفريط فيما يملكه من أسس وركائز ثقافية والتي من شأنها تحقيق الوجود المستمر الواضح المعالم.

تتناول قصة أحمد منور أحداثًا في صميم حياة الناس وأخلاقهم وطباعهم وأعمالهم في الحياة الاجتماعية، ويهدف من خلالها إلى إبراز المقارنة بين السلوكيات الحسنة والسلوكيات السيئة، فقد استقاها من الواقع المعاش، ومضمونها لم يكن تعليميًا وترفيهيًا فقط بل أخلاقيًا وتربويًا أيضًا، ويظهر

دور "منور" التربوي في إبرازه للتكافل الاجتماعي ومن صورته اهتمام الخال عبد القادر بأولاد أخته المتوفاة وخوفه عليهم ويظهر هذا من خلال السياق الآتي: "مع من تيقون هنا؟ من يحميكم من أولاد اكرام"²⁴ واهتمامه بهم لم يكن معنويا فقط بل كان ماديا أيضا، فالخال عبد القادر متفهم لحالة أخته المزرية، فكان دائم المساعدة لها قبل موتها، وحتى بعد موتها.

يظهر التكافل الاجتماعي أيضا عند خروج خديجة من المستشفى حين زارها مدير المدرسة مع مجموعة من المعلمين والمعلمات وبعض الزميلات والزملاء لدعمها ماديا ومعنويا، وهذا التكافل أشعرها بالسعادة وأنساها للحظة أنها فقيرة وبيتمة، كما يظهر أيضا في حسن الاستقبال الذي لقيته عائشة من قبل شيخ البلدية وتوظيف مثل هذه الشخصيات "مقصود لتحقيق ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي، وعليه ينصح علماء التربية بأن يوفر الآباء لأبنائهم قصصا يتخذون شخصياتها نموذجا لهم في انتهاج سلوكيات إيجابية"²⁵ فالأطفال غالبا ما يتأثرون بهذه النماذج ويتخذونها قدوة يقتدون بها في حياتهم اليومية.

ومن القيم الاجتماعية التي تحويها القصة أيضا، الرعاية الأسرية التي مثلتها عائشة وقد تحملت مسؤولية هذه العائلة على الرغم من الفقر والحزن والظروف القاهرة التي كانت تعيشها إلا أنها كانت تهتم بأدق التفاصيل الخاصة بإخوتها، فكانت الناصحة والموجهة والمشجعة، الامر كذلك بالنسبة لخديجة فعلى الرغم من صغر سنها إلا أنها كافحت من أجل توفير لقمة العيش، بل وتحقيق التفوق في دراستها، فهذا التلاحم الموجود بين أفراد الأسرة والمجتمع هو الهدف الذي سعى إليه

²⁴ أحمد منور، بائعة الخبز، ص 10.

²⁵ فتيحة شفييري، دور القصة في بناء شخصية الطفل، ص 156.

الكاتب لإظهاره بغرض تحقيقه من خلال الاقتداء بهذه الشخصيات، فركز على إحياء وإجلاء روح التضامن، بغرض إعداد هذا الطفل إعدادا إيجابيا ليكون مستقبلا بمسؤولياته الاجتماعية المختلفة، كذلك تهيئته للنهوض به في دور إيجابي من خلال تشكيل انسان فعال مفكر ومبدع قادر على التفكير والتخطيط والتطوير واتخاذ القرارات المناسبة في مختلف الميادين.

خاتمة:

تعدّ قصة بائعة الخبز لأحمد منور قصة اجتماعية استقاها من الواقع، مناسبة لمرحلة المراهقة، فهو قد اعتمد العديد من الاعتبارات الفنية للكتابة لهذه المرحلة مما يتناسب والقصة الناجحة، فوظف لغة تراعي المستوى التعليمي وأسلوبا مناسباً لمستوى الطفل في هذه المرحلة، كما أنه اعتمد شخصيات حقيقة واضحة ومؤثرة، فهي ليست مثالية، بل مشتقة من الواقع، الامر الذي يجعل المتلقي الصغير يتأثر ويتعاطف ويتفاعل معها، وبهذا يمكن أن نقول أنالكاتب قد وفق إلى حد بعيد في هذه القصة التي تحمل في طياتها وبين ثناياها قيما إيجابية تؤثر في الطفل وسلوكه.

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ أحلام أميرة بوحجر، واقع الكتابات النقدية لمسرح الطفل في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، الجزائر، 2006.
- ✓ أحمد منور، بائعة الخبز، دار الساحل، الجزائر، د ط، 2013.
- ✓ حفيظة بوخاري، علاقة المشهد اللوني في القصص المصورة بتنمية القيم الجمالية لدى الأطفال، الجزائر، ملتقى أدب الطفل، قسم اللغة العربية وآدابها، بودواو، بومرداس، 2014.
- ✓ الربيع بن سلامة، من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، دار المداد، الجزائر، 2009.
- ✓ صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دراسة موضوعاتية وفنية، دار الهدى، الجزائر، د. ط، 2005.
- ✓ عبد الحليم رايس، مسرحيتنا أبناء القصبية، دم الأحرار، منشورات المعهد الوطني للفنون المسرحية، الجزائر، د. ط، 2000.

✓ العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، موخم للنشر، الجزائر، د. ط،
2008.

✓ فتيحة شفييري، دور القصة في بناء شخصية الطفل، مجلة المؤتمر الدولي حول نشأة وتطور
أدب الأطفال في اللغة العربية، جامعة كيرالا، الهند، 2010.

✓ محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر.

✓ محمد الطاهر بوشمال، أدب الأطفال في الجزائر، مصطفى الغماري نموذجاً بحث مقدم لنيل
شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية وأدائها الجزائر باتنة،
2009،
2010.

✓ محمد حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، مصر، ط 1، 2004.